وعلى هذا لم يكن العباس بن الأحنف موفَّقًا في قوله :

سَأَطْلُبُ بعد الدّارِ عَنْكُمْ لتقربوا وتسكب عَيْنايَ الدُّموع لتجمدا

فقد بدأ فدلَّ بسكب الدموع على ما يوجبه الفراق من الحزن والكمد ، فأحسن وأصاب ؛ لأن من شأن البكاء أبدًا أن يكون أمارةً للحزن ودلالة عليه ، لكن النظر إلى العلاقة الداخلية في بِنْيَة البيت يتبين منها أن القياس قد ساق الشاعر إلى النقيض ، فالتمس أن يدلَّ على ما يوجبه دوام التلاقي من السرور بقوله : (لتجمدا) ، وظن أن الجمود يحقق له في إفادة المسرَّة والسلامة من الحزن ما حقَّقه سكبُ الدمع في الدلالة على الكآبة والوقوع في الحزن .

وخطأ الشاعر في إدراك الدلالة المفرَدة جعله يظن أن (الجمود) خُلُوُّ العين من البكاء ، وأنه إذا قال : (لتجمدا) فكأنه قال : أحزن اليوم لئلا أحزن غدًا ، وتبكي عيناي جهدهما لئلا تبكيا أبدًا ، فغلط فيما ظن ؛ وذاك أن الجمود هو ألا تبكي العين ، مع أن الحال تستدعي البكاء ، فالعين يراد منها أن تبكي ، ويُشْتَكى منها أن لا تبكي . وذكر جمود العين يتناسب مع الشكوى ، وترك معونة صاحبها على ما به من الهم .

ويمكن ملاحظة دِقَّة الربط بين إطار الدلالة المفردة والدلالة الممتدة في قول الشاعر :

ألا إنَّ عَيْنًا لَمْ تَجُدْ يَوْمَ واسِطٍ عَلَيْكَ بِجاري دَمْعِها لَجمودُ

حيث أتى (بالجمود) تأكيدًا لنفي (الجود) ؛ لأنه محال أن تجود بالبكاء وليس سبب له ؛ لأن طبيعة المعنى في الجود والبخل تقتضي مطلوبًا يبذل أو